هوامش

تستمرّ الاكتشافات التاريخية الناتجة عن أعمال التنقيب في مدينة حرّان الواقعة جنوب شرقي تركيا. اكتشافات تعكس غنى هذه المدينة الحضاري، هي التي تشتهر بالبيوت المخروطية

تلعب على مقربة من المنازل المخروطية (هايك فيدان/الأناضول)

حرّان التركية

مدينة أثرية بمنازل مخروطية

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

تحيرك حرّان، وهي مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين تقع حالياً جنوب شرقي تركيا، من أين تبدأ، أكان من التاريخ الذي يعود إلى الألفية السادسة قبل الميلاد، حين اتخذ الآشوريون منها عاصمة لدولتهم، أم من الجغرافيا التي بدلتها الحدود. فبعد معاهدة لوزان 192 (وقعت بين كلّ من تركيا وبريطانيا وفرنسا، وتألفت من 143 مادة أعادت تنظيم العلاقات بين هذه الدول في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى)، باتت المدينة ضمن حدود الجمهورية التركية، في أعقاب انهيار السلطنة العثمانية. وقد تكون هذه الرقعة الجغرافية مظلومة على الرغم من ثروتها الحضارية وتاريخها وسير من مر بها، على غرار الأنبياء إبراهيم الخليل ويعقوب وشعيب، عدا عن مكانتها أيام الحكمين الأموي والعثماني وغير ذلك.

يقول الباحث والدليل السياحي التركي سردار دونمير إنّه يجب التفريق بين حرّان اليوم، وبين منطقتها الأثرية. فالأولى منطقة متواضعة أقرب بطبيعتها إلى الصحراء، وإن كانت تقع عند منبع نهر الخابور وتحسب ضمن الجزيرة الفراتية، فتمنحها المياه ميزة الزراعة وبعض الخصوبة. أما الثانية، فمن أقدم المواقع المأهولة وتعود للآشوريين أو ربما قبلهم، وإن لم يسلط عليها الضوء إلّا بعد الفتح الإسلامي عام 639. وعن عودة حران للضوء أخيراً، يلفت إلى الاكتشاف الأخير المتمثل في إيجاد مدرسة تعود إلى القرن الثاني عشر، والتي أضيفت إلى المرصد الفلكي الأثري والجامعة القديمة بعد تنقيب استمر ثماني سنوات. والمدرسة المكتشفة اليوم، بحسب فريق التنقيب، تعود إلى فترة الدولة الزنكية، وتضم 24 غرفة صف مدرسي، وهي على الأرجح واحدة من خمس مدارس كانت قائمة في حران، بحسب كتب التاريخ.

في عام 2017، أعلن خبراء أتراك العثور على حمّام بنّي الجدران، يعود للقرن الثاني عشر، ويُعتقد أنّ صلاح الدين الأيوبي كان قد استخدمه في ذلك الوقت، وهو واحد من 14 حمّاماً. وقال رئيس فريق البحث في منطقة أوران بحران محمد أونال إنّ المنطقة غنية بالآثار التاريخية، لافتاً إلى أنّ أعمال الحفر كشفت عن حمام ذي ثلاث قباب في الطابق الثاني من قصر حران أوتش قلعة، مضيفاً أنّ الحمام يعود إلى عهد إمارة نور الدين الزنكي والأيوبيين في القرنين 12 و13 للميلاد. كما عثر الفريق على متجر للمسك وأوعية عطور مزينة يعتقد أن تاريخها يعود إلى ما قبل ألف عام.

ومع افتتاح موقع «حرّان أوران يري» الأثري أبوابه للزوار، عثر علماء الآثار على قارورة دواء، تعود للقرن الثاني عشر، ويوجد عليها رمز «أسكليبيوس» اليوناني (رمز بارز للطب يتكون من عصا واحدة مع ثعبانين متشابكين حولها)، وهي طينية وطولها 15 سنتمتراً ومعروضة بمتحف شانلي أورفا.

يقول دونمير إن عمليات التنقيب في حران بدأت قبل 70 عاماً من دون انقطاع. وتزيد الاكتشافات من أهمية تلك البقعة. كما تشير إلى أنها كانت مركزاً طبياً مهماً. كما كانت حرّان عاصمة الأمويين في عهد مروان الثاني (الخليفة الأموي الأخير في المشرق)، وتعكس المكتشفات الأثرية فيها خصائص الانتقال من العمارة الرومانية إلى الإسلامية. وتبقى المنازل الطينية المخروطية من علامات حران الفارقة حتى اليوم، ومن أهم معالم تراث المنطقة الثقافي والعمراني الجاذب للسياح. ويختلف المؤرخون حول تاريخ القباب الطينية. ويقول البعض إن عمرها لا يزيد عن 260 سنة. وفي حران نحو 300 منزل تعود لقرون سابقة، تحافظ عليها تركيا من خلال ترميمها وصيانتها دورياً.

ويقول أهل حرّان إنّ المباني المخروطية في إيطاليا هي نسخة عن منازل مدينتهم. فبعد تناقل تصاميمها عبر الرسوم والصور، انتشرت في العديد من دول العالم، منها إيطاليا. ولهذه البيوت خصوصيتها، إذ تحتفظ بالبرودة صيفاً وبالدفء شتاء. كل قبة هي سقف لإحدى غرف المنزل، وبالتالي كان من الممكن، عندما كان الطراز المعماري لتلك البيوت هو السائد في المدينة، أن يعرف المرء مكانة أهل البيت عبر عدد قبابه.

وتكون قاعدة تلك القباب مربعة أو شبه مربعة، وتبنى فوقها القباب عبر صف قطع الطوب بعضها فوق بعض بطريقة معينة، وتترك فتحة في قمة القبة لا تسد بشكل كامل، لتسمح لضوء الشمس بالدخول، ولدخان الطبخ أو التدفئة للخروج من المنزل. ويوضع خليط بين قطع الطوب يتكون من القش، والطين، وزيت الورد، وزلال البيض، كما يستخدم هذا الخليط لدهان البيوت من الخارج، وتسهم تلك المواد بالإضافة إلى التصميم المعماري لتلك المنازل، في جعلها دافئة شتاء، ولطيفة الجو صيفاً. ومن المعالم الأثرية القريبة من حرّان كهوف بازدا، وخان البارور ومدينة سوغماتار القديمة.

باختصار

حرّان من أقدم المواقع المأهولة وتعود للآشوريين أو ربما قبلهم، وإن لم يسلط عليها الضوء إلّا بعد الفتح الإسلامي

■■■

في عام 2017، أعلن خبراء أتراك العثور على حمّام بنّي الجدران، يعود للقرن الثاني عشر، ويُعتقد أنّ صلاح الدين الأيوبي كان قد استخدمه

■■■

يقول أهل حرّان إنّ المباني المخروطية في إيطاليا هي نسخة عن منازل مدينتهم

وأخيراً

دانييل دي لويس ونجوم عرب

رشا عمران

أعلن الممثل البريطاني الأشهر دانييل دي لويس، في عام 2017، اعتزاله التمثيل لأسباب شخصية. دي لويس صاحب الأوسكارات الثلاث، وأحد أعظم ممثلي الزمن الحالي، والذي لم يكن قد تخطّى الستين حين أعلن اعتزاله، انسحب بهدوءٍ لا يتناسب، في الحقيقة، مع كثافة حضوره الفني، إذ أنجز خلال مسيرته أفلاماً تعتبر الأهم من حيث تنوّعها وقيمتها السينمائية التي أضافت إليها عبقرية دي لويس الكثير، إذ مما يعرف عنه أنه كان يبحث فيما يعرض عليه من السيناريوهات عن الشخصية التي يمكنه أن يحقق من خلالها حضوراً نوعياً جديداً لا يشبه ما سبقه. وهو، عموماً، ما جعل أفلامه قليلة العدد قياساً بعدد سنوات وجوده السينمائي الممتد أربعين عاماً، إذ كان يقضي وقتاً طويلاً وهو يتدرّب على أداء الشخصية، حتى إنه حين عرض عليه سيناريو فيلم «قدمي اليسرى» الذي استحقّ عليه أول أوسكاراته، ظل ما يقارب العامين يتدرّب على استخدام قدمه اليسرى كي يؤدّي شخصية كريستي براون (شخصية حقيقية) المولود بشلل دماغي عطّل كل أعضائه عدا قدمه اليسرى التي استخدمها للرسم، حتى تحول إلى نجم عالمي بسبب اشتهار لوحاته وقصته. كما أنه قبل فيلمه «عصابات نيويورك» تعرف على عدة محلات للجزارة، وصار يقصدها يومياً للتدرّب على آلية تقطيع اللحم وتجريده وتشفيته، كما كان يفتعل المشكلات مع غرباء في الشارع كي يدخل في الشخصية.

لا يشبه دانييل دي لويس غيره من الممثلين، لا من مجايليه ولا في تاريخ السينما العالمية، حتى إنه استطاع أن يتجاوز مارلون براندو الذي قيل إن دي لويس كان يعتمد طريقته ذاتها في التمثيل (الأداء المنهجي) في صدق الأداء، والعمق في التقاط تفاصيل الشخصية، فقد كان يستنفد طاقته الحياتية كلها في محاولة اكتشافه طرقاً جديدة لأداء كل شخصية يوافق على لعبها، ربما جعله هذا الاستنزاف يدرك أن ثمّة أشياء أخرى يفتقدها في حياته: تفاصيل الحياة مع عائلته وأصدقائه، اكتشاف ما لا يعرفه عن العالم الذي يعيش فيه. باختصار، ربما شعر بأنه اكتفى بما حققه في عالم السينما، وعليه أن يعود إلى دانييل دي لويس، شخصيته الأولى والأخيرة، فأعلن اعتزاله وهو في القمة، قمة العطاء والنجومية والتميز.

إذا كانت مقارنة أدائه مع غيره من نجوم هوليوود والعالم غير واردة، فهل يمكن مقارنته مع نجوم العالم العربي؟ قرأت قبل أيام حواراً مع نجم سينمائي وتلفزيوني عربي مشهور، يذكر فيه دي لويس، ويقول بما معناه إن لدينا نجوماً يلا يقلون عنه أهمية، لكن ظروف الإنتاج تمنع المثلين من إظهار طاقاتهم الكامنة. وبالتأكيد، لا يمكن إنكار أن ظروف الإنتاج السينمائي العربي مجحفة جداً بحق المثلين والنجوم. ولكن هل هذا هو السبب فقط؟ ألا يتحمّل ممثلون عرب كثيرون جزءاً من مسؤولية نمطية أدائهم وأدوارهم وركاكتهما وهزالهما، مثلما يتحمل الإنتاج والمخرج المسؤولية؟

يتعامل غالبية الممثلين العرب مع الفن والتمثيل بوصفه مجرّد مهنة مربحة على المستوى المادي وعلى مستوى الشهرة، ما يجعلهم يوافقون على أداء أي دور مهما كان هزيلاً. إضافة إلى أن تفوّق الإنتاج الدرامي التلفزيوني على السينمائي جعل أداء غالبيتهم مترهلاً وباهتاً ومتكرّراً ومتشابهاً، لا يتميز أي دور لأحدهم عن دوره الآخر، ولا يتميز أحدهم عن الآخر. نادراً ما نجد منهم من يعتبر الفن أسلوب حياة، أو يتعامل مع مهنته بوصفها مهنة تحتاج الدراسة المستمرة والتجريب والبقاء دائماً في حالة بحث عما يضيف إلى موهبته معرفياً وثقافياً وتطوراً. نادراً ما نرى في عالمنا العربي نجماً يمتلك قدراً معقولاً من الثقافة أو من الانشغال بالقضايا العامة السياسية والثقافية والفكرية والمجتمعية. لدى معظمهم شعور عميق بالإثم من أنه يمتهن مهنةً لا ترضي موروثه الاجتماعي، فيستخفون بها ويسلكون سلوكاً منفصماً سوف يترك أثره حتماً على أدائهم، ذاك أن عنصر الصدق سوف يكون غائباً عن هذا الأداء الذي سيأتي باهتاً أو مبالغاً فيه إلى درجة أخذ الشخصية إلى مكان آخر لا يناسب تطورها الدرامي، هذا في حال كنا أمام سيناريو محكم ومتقن.

> لا يشبه دانييل دي لويس غيره من الممثلين، لا من مجايليه ولا في تاريخ السينما العالمية

لا نطلب من نجومنا أن يكون أحدهم دانييل دي لويس، ولكن نطلب منهم، قبل عقد مقارنات ما، التعامل مع الفن بعقلٍ قابل للتجريب، لا بعقل مصمت يبحث صاحبه عن الستر.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**